الكناية والتعريض

المدرس المساعد : ظاهر محمد مراد
d.mured88@uomustansiriyah.edu.iq

إنَّ من علماء البيان مَن خلط بين الكناية والتعريض ولم يفرّق بينهما ولم يجعل حدًّا لكلٍّ منهما، فاستشهدوا بأمثلة من التعريض للكناية، وللتعريض أمثلة يستدل بها على الكناية، ومن هؤلاء العلماء الغانمي، و ابن سنان الخفاجي، والعسكري.

ولعل ابن المعتز أول من أفرد بابًا للتعريض والكناية في الكتب البلاغية المختصة ولم يعرّف الكناية ولم يفرّق بينها وبين التعريض.

وهؤلاء _حسب رأي ابن الأثير_ لم يفرّقوا بين قسمي الكناية والتعريض كما فعل فقد قام بتمييز أحدهما عن الآخر وبيان الفرق بينهما، فالتعريض أخفى من الكناية، وردَّ ذلك إلى أنَّ دلالة الكناية لفظية وصفية من جهة المجاز، ودلالة التعريض من جهة المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي، وذكر أيضاً أن الكناية أعم فتشمل اللفظ المفرد والمركب فتأتي على هذا تارة وعلى ذلك أخرى.

والتعريض يختص باللفظ المركب ولا يكون في المفرد وأشار بالدليل إلى ذلك من أن التعريض يفهم من جهة التلويح والإشارة وذلك لا يكون مع اللفظ المفرد فيحتاج إلى التراكيب للدلالة عليه.

وهذا بالاستناد إلى الدراسات التي سبقته، فإن آراء الزمخشري فتحت أفاقًا جديدة في بيان الكناية ومعانيها فهو أول من فرق بين الكناية والتعريض وحدد مفهوم كلٍّ منهما تحديدًا علميًا

ومن خلاله فرق بين الكناية والتعريض بأن الكناية: أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له كقولك: طويل النجاد لطول قامته وكثير الرماد للمضياف ، والتعريض: أن تذكر شيئاً لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج إليهِ جئتك لأسلم عليك ولأنظر إلى وجهك الكريم وهذا يدل على الغرض ويسمى التلويح؛ لأنه يلوح منه ما يريده

مظهر من مظاهر البلاغة، وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه وصفت قريحته أن الكناية أبلغ من الإفصاح لمن كان ذكيا ،إذ تخرج الكلام على خلاف ما وضع له في الأصل، وهي من أساليب البيان التي لا يقوى عليها إلا كل بليغ متمرس حيث يتفنن في الأساليب ويزين ضروب التعبير فيكثر من وجود الدلالة وبذلك فهي تمتاز بحسن التفسير وعمق التأثير ، وان سر بلاغة الكناية تكمن في كونها طريقة تفسير وأسلوب أفاد المعنى وهي في صور كثيرة توصلنا للحقيقة مصحوبة بدليل وهي بذلك في حسن تصويرها المعنى تؤثر في نفس السامع فتكون أوقع من غيرها من ضروب الكلام.

أما ابن الأثير فقد حدَّ الكناية بقولهِ: ((كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقية والمجاز بوصفٍ جامع بين الحقيقية والمجاز))، والدليل على ذلك أن الكناية في أصل الوضع: أن تتكلم بشيء وتريد غيره.

وخالف ابن الأثير البلاغيين في تقسيماتهم للكناية، فقد قسّموها على قسمين:

الأول: ما يحسن استعماله، والثاني: ما لا يحسن استعماله وهو عيب في الكلام، وبهذا فإنَّ تقسيمه يعارض تقسيم البلاغيين للكناية، فهم قسَّموها على تمثيل وأرداف ومجاورة، وحجته في ذلك أن يكون كل قسم مختص بصفة خاصة تفصله من عموم الأصل، وفارق ابن الأثير البلاغيين في التعريفات والتقسيمات البلاغية، والسبب في ذلك يعود إلى مفاهيمه التي كانت ذوقية ولم تتعلق بالجانب الموضوعي، لأنه ينتمي إلى المدرسة الأدبية وهو أحد أقطابها وهو في هذين القسمين اعتمد على ذائقته الأدبية فيرى أنها قائمة على الجانب الذوقي الذي يكون في حسن الشيء أو عدمه

واعترض ابن الأثير على تقسيمات الكناية، وعند تتبعنا لها لم نجد من علماء البلاغة من أخذ بها؛ إنما جاء تعريفها عند كلٍّ من الجرجاني و أبي هلال العسكري.

إنَّ انتماء ابن الأثير إلى المدرسة الأدبية جعله يعترض على هذه التقسيمات عند المتكلمين بلحاظ أن قدامة ينتمي إلى المدرسة الكلامية، وعدَّ ابن الأثير هذه التقسيمات غير صحيحة لإرجاعها إلى الجانب الفلسفي.

التعريض من أساليب الكلام فهو يعتمد على مقدار ذكاء المخاطب فيكون بصورة غير مباشرة كالتلميح والإشارة الخفية فيكتفي بقرائن الحال وما يُفهَم منها ذهنيًّا من توجيه الكلام، وهو أخفى من الكناية ففيه مزيدٌ من الخفاء حتى يكون أكثر فائدة حينما يكون التصريح مثيرًا لغضبٍ، أو نقدٍ، أو كشفِ أمرٍ يجب ستره فيقوم مقام الألغاز والرمز الخفي، ويُمَكِّنُ القائل من أخذ الحق وشفاء الغليل من الخصم دون خدش وجه الأدب، وهو في اللغة خلاف التصريح مشتق من عرض يعرض عرضاً ومن المعاريض، حيث يقال عرض بفلان إذ قال قولاً وهو بعينه.

وفي الاصطلاح: هو إطلاق كلام مع إشارة أو رمز إلى معنى آخر يُفهَم من السياق ما يعنيه ولهذا السبب لا بدَّ من أن يأتي في الكلام المركب.

وعند أبن الأثير: هو اللفظ الدال على معنى نتوصل إليه من طريق المفهوم بالوضع الحقيقي والمجازي وذلك، مثل (والله أني لمحتاج وليس في يدي شيء) فهذا تعريض بالطلب دلَّ عليه من طريق المفهوم، وأشار ابن الأثير إلى ضرورة وجود الألفاظ المركبة في التعريض، واستدلَّ على ذلك بأنَّ التعريض يُفهَمُ المعنى فيه من جهة التلويح والإشارة وذلك لا يستقلّ به اللفظ المفرد ولكنه يحتاج في الدلالة عليه باللفظ المركب<